حول آية: همت به و هم بها

<"xml encoding="UTF-8?>

السؤال:

إن قوله تعالى :

(وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) يوسف ٢٤ ، يُثيرُ في النفوس أسئلة كثيرة ، ولِطُول ما سمعناه وما قرأناه في تفسير هذه الآية نودُّ منكم التفصيل في شرحها .

الجواب:

أولاً : إن الروايات التي وردت في تفسير الآية القرآنية قالت :

إن همَّ النبي يوسف (عليه السلام) بها وهو الهمُّ بالضرب لها على ما قامت به ، أما هَمُّهَا هي به (عليه السلام) فهو الهمُّ بالقبيح ، لأنها هي التي راودَتْهُ عن نفسها ، فجاز عليها فعل القبيح .

أما النبي يوسف (عليه السلام) فقد رفض واستعصم ، فلا يجوز عليه الهمُّ بالقبيح ، كما ذكرت ذلك الروايات عن الأئمة (عليهم السلام) .

إذن ، (هَمَّ بِهَا) وإن تَقدَّمَهُ (قَدْ) وكانت للتحقيق إلاَّ أن الهمَّ كان بضربها ، ولكنه (عليه السلام) لم يفعل ذلك ، بسبَب برهان رَبِّه الذي قد صرفه عن ضربها .

وذلك لأنَّه لو ضرَبَها لتورَّط بالتُّهمة في أنه هو الذي راوَدَها على القبيح ، ولقذَفَتْهُ بالقبيح ، وإنها امتنعت فضربها ، لذلك سيصدِّق الناس ذلك الإدِّعَاء منها لوجود شهادة الضَّرب لها .

ثانياً : فيكون معنى الآية : (ولقد هَمَّتْ به – بالقبيح – وهمَّ بها – بضربها – ولم يضرب ، بسبب رؤية برهان

الربِّ في أنَّ الضرب بغير صالحه ، وبصالحها) .

وبهذه القراءة والتفسير يبتعد عن يوسف التحرك نحو الغرائز والأهواء نحو المعصية .

ويشهد لهذا التفسير نفس ذيل الآية حيث قالت عن يوسف : (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) يوسف ٢٤ .

والمُخلَص – بفتح اللاَّم – هو من كانت نفسه طاهرة ، ولم يفكر بالمعصية أصلاً ، بخلاف المُخلِص – بكسر اللاَّم – ، وهو الذي يكون عمله خالصاً لوجه الله تعالى ، ولكن نفسه قد لا تكون خالصة ولا تكون طاهرة .

وحينئذٍ نقول : إن مَنْ كانت نفسه وروحه طاهره ، ولم تفكر بذنب أو معصية كيف ينوي المعصية ، وكيف يهمُّ بها ؟ ، مع أن القرآن يقول أن عباد الله المخلَصين ليس للشيطان عليهم سُلطان .

حيث أن الشيطان بنفسه قد استثنى عباد الله المُخلَصين من إمكانية تأثيره عليهم فقال : (قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) الحجر : ٤٠ .

وقال تعالى : (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ) الحجر : ٤٢ .